من مقوّمات المعجم العلمى العربى المتخصص (*)

للدكتور محمود مختار

السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور .

رئيس المجمع والمؤتمر .

السادة الزملاء أعضاء المؤتمر .

من المسلم به أن اللغات العلمية قد أصبحت اليوم من أهم روافد اللغات الحية التى يستخدمها الإنسان المعاصر فى حياته اليومية ، حتى أنها أتخذت تعبيراً عن مدى رقيّه وحضارته ، وقد سبق أن فتح علماء العرب آفاق العلم التجريبى الذى جعل من اللغة العربية لغة للعلم كما هى لغة للدين وللأدب . ومَرَّت اللغة العربية العلمية بعصر انفتاح على اللغات العلمية العالمية آنئذٍ كاليونانية وغيرها إبان القرون من العاشر إلى الثانى عشر ، واستوعبت كل ما وجدته فيها من علوم كما أنها أعطت بقدر ما أخذت منها .

ومنذ أواخر القرن الرابع عشر أخذ عهد من الظلمة يخيم على الوطن العربى حتى راح فى سبات إمتد نحو خمسة قرون ومع إطلالة القرن التاسع عشر بدأت هذه الظلمة تنقشع شيئا فشيئا . وكان للحملة الفرنسية أثرها فى فتح الأعين على الحضارة الأوربية التى كان ازدهارها قد بدأ ، وفى أعقاب هذه الحملة أرسل محمد على والى مصر البعثات للتعلم والتخصص فى الدول الأوربية وحرص على تكليف أعضائها بترجمة العلوم ونقلها إلى مصر ليصبح العلم والتعليم عربيا .

وعندما أبتلينا بالحكم الإنجليزى فى مصر لم يقصر احتلاله على الشئون العسكرية والاقتصادية بل تعداه إلى لغة التعليم فحولها إلى الإنجليزية بحجة قصور اللغة العربية عن استيعاب الألفاظ العلمية التى أوجدتها الحضارة الحديثة .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر يوم الأربعاء ٢٢ من شوّال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١٤ من أبريل سنة ١٩٩٣ م .

وفى إثر الحـرب العـالميـة الأولى تـفـتح الوعى فى مصر على ضرورة تعريب العلوم وهدم تلك الحـجـة بمنطـق واع يقـول : بأن كـلاً من استيعـاب الطـالب للـدرس وكفاءة المدرس فى الشرح تزداد زيادة كبيرة عندما يتخـاطب الطالب والمدرس بلغة الأم . كـانت هذه بادرة إنشـاء مـجـمع اللغـة العربيةفـى مصر الذى وضع اللغة الـعربية العلمية ضمن إهتماماته . فقد لمس المجمع منذ أول عهده ـ وكأنه كـان يقرأ فى صحف الغيب ـ ما سـوف تكون عليـه منزله اللغـة العلمية العربية مـن شأن فى جميع مناحى الحياة الحاضرة والمستقبلة ، فنصَّ عليها فى قانون إنشـائه ووقف جُلّ نشاطه عـليها وفتح صدره مرحبا بالعلـميين فى عضويته للاشتراك مع سَدنة اللغـة العربية وحُفَّاظها فيه للعمل معـا على وضع حجر الأساس فى إقامـة صرح اللغـة العـلمـية الـعربـية . وسرعـان ما أتـى الغرسُ ثـمارَه بـإخراج معاجـم علميـة متخصـصة مكتـوبة بروح العصر ولغته ومسايِرَة لنهج الحضارة الحديثة وإنجازاتهـا العلمـية والتقـنية فى مـجالات مختلفة . وأصبحت اللغـة العلمية العربية ركنا هاما فى بناء اللـغة العربية المعاصرة . ومن ثم أصبح تعريب العـلوم قضية قومية لهـا مقـوماتهـا وأسانـيدها وعـقدت لـها المؤتمرات والندوات فى جميع أقطار الوطن العربى . وظهرت المعاجم الـعلمية العربية المتخصصـة لتكون عنصرا هاما فـى تنشيط حركة تعريب العلوم فى شتىَّ التخصصات وتقبلهـا الدارسون والباحثون بقـبول حسن وأحلـوها مكانـها الشـاغر فى مـكتباتـهم ومعاملهم وبحوثهم .

واليوم وقد خرج عدد من هذه المعاجم إلى الحيـاة العملـية منذ أكثـر من حقبـتين، فقد أصبحت فى حاجة إلى وقفة متأنية لتقييم مسارها وتقويمه إذا لـزم الأمر لتصبح أكثر تجاوبا وتوافقا مع متطلـبات العلم والتطبيق المعـاصر . وذلـك هو الأسـلوب الـسوّى الذى تَـفْرِضُه سـنَّة التـطور والارتقـاء فى جميع جوانب الحيـاة . وسوف تتناول هذه الوقفة الحـديث عن بعض مقومـات المعجم

العلمى المتخصص بعرض بعض التساؤلات التى قد تفيد ما نقصده من دراسة وتطوير.

وأبدأ بالتساؤل البديهى الأول وهو : لمن يوضع المعجم العلمى المتخصص ؟ وكيف يمكن أن يكون أكثر مواءمة لأغراض مستخدميه ؟

والإجابة على الشق الأول واضحة ، فهو يخدم فئات عريضة من الأفراد الدارسين والمشتغلين بالعلوم البحتة والتطبيقية كل فى مجال تخصصه ، كطلبة الكليات العملية والمعاهد والقائمين على التدريس فيها (بالعربية أو بالإنجليزية) والعاملين فى مجالات البحث العلمى والتطبيقى كالأطباء والمهندسين والزراعيين والفنيين والإعلاميين ، كما يخاطب المثقفين بصفة عامة . ومن الواضح أن جميع أفراد هذه الهيئات هم على دراية بلغة أجنبية (غالبا هى الإنجليزية) وهم كثيراً ما يكونون فى حاجة لمعرفة مقابل عربى لمصطلح أجنبى يقابلهم فى دراساتهم أو قراءاتهم أو مؤلفاتهم .

وقد يكونون أحيانا فى حاجة لمعرفة مصطلح أجنبى للفظ عربى ليسهل عليهم التعرف على دلالته العلمية من اللغة التى أخذ عنها . وفى كلتا الحالتين يلجأون إلى المعجم العلمى العربى المتخصص الذى يعمل فى اتجاهين . وهذا معناه أنه من الضرورى أن يزود المعجم الذى يتبع الهجائية الأجنبية فى ترتيبه بفهرس بالهجائية العربية . وهذا أول مقوّمات المعجم المتخصص .

والتساؤل الثانى هو استطراد لما قبله . وهو:من يضع هذا المعجم ؟

وهذا تساؤل قديم أجاب عنه العلماء العرب المتخصصون منذ أكثر من ألف عام من أمثال الخوارزمى الذى وضع معجم مفاتيح العلوم وابن سينا والبيرونى وغيرهم. وهم الذين نقلت أعمالهم إلى الغرب وأصبحت نواة لثورة علمية جديدة فى الدول الأوربية ، ومنذ ذلك الحين زاد الاهتمام بإخراج معاجم علمية متخصصة شاملة فى البلاد الأوربية سرعان ما

تضـخمت وتطـورت بتقـدم العلوم حـتى وصلت إلى المستوى الذى نـلمسه اليوم فى معاجم من أمثال وبستر ولاروس وأكسفورد وغيرها .

وبانفتاح الدول العـربية على الحضارة الأوربية فى بـداية القرن العشـرين ظهرت فيـها الحاجـة ملـحة إلى مـعاجم ثـنائـية متخـصصة تأخذ عن المعاجم العلميـة الحديثة وتصـبح نواة لـتعريـب العلـوم إستجـابة للـهدف القومـى الكبيـر فى جميـع أرجاء الوطن الـعربى . وأصبح إخراج المـعاجم العـلميـة دراسة تـخصصـية تتـطلـب من واضعهـا إلى جانب المعرفـة التامة بلـغتى الأصل والفرع مستوى عاليا من التخصص فى مـادة المعجم نـفسه ودرايـة بمتطلـبات المعـاجم الحديثـة . ولا أنكر أن عـددا من المعـاجم قد لاقـى بعض الـنجاح فـى بدء النهضة العلمية العـربية التى واكبت المسيرة العلمية آنذاك . إلا أن الحـاجة اليوم تدعو إلى تطورها ونموها لمسايرة اطّراد التقدم فى الحياة العلـمية عامة . وهذا ما تقـصر عنه الاجتـهادات الفـردية مـهما عـلت ، ولا يقوى عليه إلا هيئات رفيـعة المستوى كمجمع لغة أو ما يماثله يتألف من علميين ولغويين ومعجميين يعملون تحت مظلة قوية مستقرة وفق نهج موضوع لهم من هيئة عليا كاتحاد المجامع تضع لـه الخطوط العريضةللـتنسيق والتخطيـط . وبهذا يصبح ملزمـا لكلّ من يعـمل فى ميـدان المعاجـم والمصطلـحات وشئون التعريب وتخرج أعـمالهم متناسقة إن لـم تكن متطابقـة . وغنىٌّ عن البيان أن إخراج معـجم علمى مـتخصص عـلى أية صورة من صوره ليس هدفا ينتهى بإصداره أو حسن استـقباله . بل إنه عمل مـستمر متواصـل ينمو كـمّا وكيفًا مـسايرا للـتقدم العلمى نفسه الذى ينمـو ويتقدم بلا حدود . وعلى الـهيئة التـى تخرج هذا المـعجم أن توالى تطويره وتنمـيته كمّـا وكيفـا بإخراج طبـعات متـعاقـبة تسـاير حاجـة المجتـمع العلمى لمـزيد ومزيد من المصطلـحات التى يتطلبها التقدم العلمى . وفى رأيى أن هذه هى الوسيلة الوحيدة الـتى تبعدنا عن دائرة

الاجتهادات الفردية التى غزت الوسط العلمى حديثا وأثارت الكثير من البلبلة والترددية بين العاملين مما أفقدهم القدرة على التخاطب والتعاون فيما بينهم . أسوق دليلا على هذا ما وضعته هيئة اليونسكو من كتاب فى الرياضيات باللغة الإنجليزية ترجم فى خمسة أقطار عربية وفقا لمصطلحات فردية اجتهادية ورموز متغايرة ،فلم يدر الدارسون أيها يتبعون وعادوا إلى دراستهم بالإنجليزية أضف إلى هذا كله أن الاجتهادات الفردية مهما علت قيمتها فإنها سوف تفقد صفة الاستمرارية والتطوير بانقطاع صاحبها عن نشاطه إن عاجلا أو آجلا .

وثمة تساؤل ثالث يفرض نفسه على سياق الحديث وهو:منهجية المعجمات ، أى أسلوب وضع المصطلح سواء كان بالترجمة أم بالتعريب . فأقول لقد حاولت بعض الهيئات القائمة على شئون المعجمات ومصطلحاتها ومنها مجمعنا بالقاهرة وضع بعض الأسس لهذه المنهجية مبنية على ما استقرت عليه مجالسها أو مؤتمراتها من مبادىء كان منها :

١ - إن المصطلح فى مفهومه ودلالته لفظ يصطلح عليه أهل التخصص ليصبح وسيلة يتم بها التواصل والتفاهم فيما بينهم أى أنه كُتلة صوتية واحدة ذات معنى محدد واحد ودلالة علمية واحدة فى مجال استخدامه ، يستوى فى ذلك إن كان مترجما أو معربا أو دخيلا . وهذا يعنى أن قيمة المصطلح تتحدد باستساغته والإجماع عليه من المختصين أولا بعد تهذيبه من اللغويين . كما يلزم أن يكون متسقا مع بقية المصطلحات القريبة منه وقابلا للنمو إما بالاشتقاق أو بالإضافة .

٢ - ضرورة كتابة المصطلح العربى مشكولا فى المعجم حتى تصح قراءته ويستدل على دلالته مباشرة دون حاجة للرجوع إلى تعريفه لإمكان قراءته قراءة صحيحة .

٣ - ضرورة تعريف المصطلح فى المعجم . وهذا أمر ملزم لا يمكن تجاوزه .

ويكون التعـريف عادة مقتضبا الـغرض منه هو الـتعرف عـلى دلالتـه باختـصار دون التـوسع فـى جوانـبه الـتعـليـميـة وبدون التعريف يفقد المصطـلح أهم صفاته ويفقد المعجـم معه أهم مقومـاته كمعجم عـلمى عملى مفيد .

والتـساؤل الـرابع : عن إثـراء اللـغة العربية العلمية وتطعيمها بألفاظ محدثة .

فمن المعلوم أن المعـجمات العلميـة العربيه المتخصصة حديثة عهـدفى الوطن العربى. وهى وإن كانت قد بدأت قليلة محدودة إلاّ أنها أثرت اللغة العربـية بدرجة محسوسة.

فضلا عن أن اطراد التقدم العلمى بسرعة فائقة قد أغرق اللغة العـلمية الأجنبية بسيـل منهمر من المصطلحات الحديثة التى يلزم استيعابها فى معاجمنا بطريقة أو بأخرى .

ولما كان من المـعلوم أن اللغة الـعربية لغة اشتقاقية ، فإنها مهما امتدَّت واتسعت فسوف تصل إلى حدود تهدىء من سرعتها وربما تـوقفـها . ويعـنى ذلـك أن السـيل المنهمر بلا حدود فى الحـاضر والمستقبل لا يمكن استـيعابه بتحميل الاشتـقاق أكثر مما يحتمل . ويصبح من الضرورى أن نبحث عن إمكـان تنمية الـثروة اللفـظية العلـمية بوسـيلـة أو بأخـرى من الـوسائـل التـى استخـدمتها اللغـات الأوربية ومكنتـها من استيعاب المصطلحات المنهمرة بسهولة مهما تعددت وامتدت فى الحاضر والمستقبل.

تلك هى الصفة الإضـافية فى اللغات الأوربـية . ومـنـها اسـتخـدام الـسوابـق واللواحق على نطـاق واسع . فهل يمكن الاستعـانة بها فى لغـتنا على نـطاق واسع أيضًـا . أقول عـلى نطـاق واسع إذ أنـها ليست غريبة تماما عن لـغتنا العربية . وقد أمكن استخدامها واستـساغتها فى مجالات تخصصية عديدة بنـجاح كالطب والصيدلة وكثير من العلوم التـطبيقية ، بعد أن وُضع لها نهج يحكم قبولها ، أساسه عدم الجمع بين سـابقة (أو لاحقة) من أصـل عربى إلى لفظ غير عربى ، والعكس بالعكس ، أى عدم الجـمع بيـن سابـقة أولاحقـة من أصـل أجنـبى إلـى لـفظ عـربى الأصـل والأمثلة على ذلك كثيرة .

وثمة وسيلة أخرى تساعد على استيعاب العديد من المصطلحات هى استخدام الرموز والإشارات والتراكيب الرياضية أو الكيميائية وما إليهما بصورتها التى أقرتها الهيئات العلمية العالمية دون تغيير، ولا يخفى ما لهذا الوضع من أهمية فى التيسير عند كتابة المعادلات فى جميع اللغات بصورة واحدة. وقد سبق أن أقر مؤتمر عمان للرموز هذا الإجراء منذ نحو خمس سنوات .

المعاجم العربية العلمية المتخصصة خطوة نحو أداء رسالتها وتطويرها لاستيعاب متطلبات العلوم والتكنولوجيا الحديثة . والتطوير هو سُنَّة من سنن الحياة للتقدم والتنمية، وسيلته هى الاستخدام والممارسة، وغذاؤه هو النقاش والمحاورة. وهدفه هو الوصول باللغة العلمية العربية إلى مستوى اللغات العلمية الأجنبية والتفاعل معها على قدم المساواة بالأخذ وبالعطاء .

والله تعالى ولى التوفيق .

سيدى الرئيس :

سادتى الأعضاء :

أعود فأذكر أن ما عرضته اليوم من المقومات والآراء إن هو إلا محاولة لتقدم

محمود مختار

عضو المجمع